علاقة الشاعر بأحلام اليقظة

تأليف سيغموند فرويد
ترجمة : سمير كرم

كنا نعجب دائما، نحن رجال العلم، كيف يصل ذلك المخلوق الغريب « الشاعر » الى موضوعاته . ما الذي يمنحه القدرة على ان يحملنا معه على هذا النحو وأن يثير فينا من الانفعالات ما قد نظن أنفسنا غير قادرين عليه أبدا ؟ ان ما أثار اهتمامنا بهذه المشكلة لم يكن الا تلك المناسبة التي تحدث اذا ما سألنا الشعراء انفسهم فلا يعطوننا تفسيرا للمسألة ، أو هم لا يعطوننا — على الاقل — تفسيرا مقنعا . ومعرفتنا بأن أوضح أنواع الاستبصار بالعوامل التي تحكم اختيار المادة التمثيلية ، او الاستبصار بطبيعة القدرة على صياغة هذه المادة ، لن يجعل منا كتابا — هذه المعرفة ، لن تقلل بأي حال من اهتمامنا .

لكن آه لو استطعنا فحسب أن نجد عندنا ، أو عند أقراننا من الناس بعضا من النشاط مما له صلة — بطريقة ما — بكتابة الاعمال التخيلية ! فلو اننا استطعنا ذلك لامكن أن يعطينا اختبار هذا النشاط أملا في الحصول على بعض الاستبصار بالقوى الابداعية عند الكتاب التخيليين. والحق أن هناك بعض الامل في انجاز هذا ، فالكتاب انفسهم يحاولون دائما ان يقللوا المسافة بين نوعهم والمخلوقات البشرية العادية ، وهم غالبا ما يؤكدون لنا أن كل انسان شاعر في اعماقه ، وأن آخر الشعراء لن يموت حتى يموت اخر كائن بشري.

ان علينا بالتاكيد ان نبحث في الطفل عن الاثار الاولى للنشاط التخيلي . وأحب المشاغل وأكثرها استغراقا للطفل هو اللعب . وقد يحق لنا أن نقول ان كل طفل يسلك في اللعب مثلما يسلك الكاتب التخيلي ، بحسبان انه يخلق عالما خاصا به ، أو أنه — على الاصح — يرتب الاشياء الموجودة في عالمه وينظمها على نحو جديد يزيد من لذته. وقد يكون من غير الصحيح أن نعتقد ان الطفل لا يأخذ هذا العالم مأخذ الجد ، بل انه على النقيض من ذلك يأخذ لعبه مأخذ الجد ويبذل عليه قدرا كبيرا من الانفعال . فليس ضد اللعب الانشغال الجدي ، بل الواقع . ورغم الشحنة الانفعالية الكبيرة المثيرة لعالم اللعب عند الطفل ، فانه يميزه تمييزا تاما عن الواقع ، انما هو يحب فحسب ان يستمد الاشياء والظروف التي يتخيلها من الاشياء المحسوسة المرئية في عالم الواقع . وهذا الربط بينها وبين الواقع هو فقط الذي لا يزال يميز « لعب » الطفل عن «أحلام اليقظة» .

والكاتب يفعل نفس ما يفعله الطفل في اللعب . انه يخلق عالما من الخيال ، يأخذه مأخذ الجد التام ، أي انه يستثمره بدرجة كبيرة من التأثر ، بينما هو يفصله فصلا حاسما عن الواقع . وقد احتفظت اللغة بهذه العلاقة بين لعب الاطفال والابداع الشعري . فهي تحدد ضروبا معينة من الابداع التخيلي — التي تتصل بالاشياء المحسوسة والتي يمكن تمثلها — على أنها « لعب » ، والناس الذين يتمثلونها يسمون « لاعبين » ومع ذلك فان لاواقعية هذا العالم الشعري المتخيل لها نتائجها البالغة الاهمية بالنسبة للتكنيك الادبي ، لان كثيرا من الاشياء التي اذا ما حدثت في الحياة الواقعية لم تحدث أي شعور باللذة — لكنها مع ذلك يمكن أن تعطي شعورا بالمتعة في اللعب ، وقد تصبح كثير من الانفعالات — التي هي مؤلمة في جوهرها — مصدرا للمتعة للنظارة والمستمعين لعمل شعري .

وهناك اعتبار اخر فيما يتعلق بالتعارض بين الواقع واللعب ، ذلك التعارض الذي سنتمعن فيه لحظة . بعد أن يكون الطفل قد نما وتوقف عن اللعب بوقت طويل ، وبعد ان يكون قد حاول لعشرات من السنين أن يدرك وقائع الحياة بكل جدية ، قد يصل يوما ما الى حالة ذهنية ينتفي فيها التعارض بين اللعب والواقع ثانية . ويستطيع البالغ أن يتذكر بأي درجة شديدة من الجدية كان يقوم بالعابه الطفلية ، ويستطيع عندئذ — بالمقارنة بين مشاغله التي قد تكون جدية وألعاب طفولة — أن يلقي بعيدا بحمل الحياة الثقيل وأن يحصل على لذة المرح الكبيرة .

ان الناس كلما كبروا اقلعوا عن اللعب ، ويبدون أنهم يقلعون أيضا عن الحصول على اللذة التي كانوا يستمدونها من اللعب . لكن أي انسان يعرف أي شيء عن الحياة العقلية من الكائنات البشرية يعلم أن من أصعب الامور عليهم أن يقلعوا عن لذة سبق لهم أن ذاقوها . حقا اننا لا نستطيع ان نتنحى عن أي شيء ، انما نحن فقط نستبدل شيئا بشيء اخر غيره . وحين يبدو اننا نقلع عن شيء ، فكل ما نفعله في الحقيقة أننا نتخذ بديلا له . وهكذا فان الكائن البشري حينما يكبر ويقلع عن اللعب يقطع فحسب صلته بالاشياء الحقيقية (المتصلة باللعب) . فبدلا من أن يلعب يبدأ عندئذ في خلق تخييلات ، فيبني قلاعا في الهواء ويخلق ما يسمى بأحلام اليقظة . واني أعتقد أن اكبر عدد من الكائنات البشرية يخلق في بعض الاوقات تخييلات ، طالما امتدت الحياة بهم . هذه حقيقة اغفلت زمانا طويلا، ومن ثم لم تقدر أهميتها تقديرا سليما .

ان تخييلات الكائنات البشرية أيسر على الملاحظة من لعب الاطفال . فالحق أن الاطفال يلعبون بعدهم، أو يشكلون مع أطفال اخرين عالما مقفلا في أذهانهم بغرض اللعب ، لكن الطفل لا يخفي لعبه عن الكبار رغم ان لعبه لا يهم هؤلاء في شيء . اما البالغ — من ناحية أخرى — فانه يكون خجلا من أحلام يقظته ويخفيها عن الناس الاخرين ، انه يعتز بها باعتبارها أخص ممتلكاته ، وقد يعترف بالاحرى — بصفة عامة — بجميع حاجاته السيئة ولا يعترف باحلام اليقظة. وقد يعتقد — لهذا السبب — انه هو الشخص الوحيد الذي يكوّن مثل هذه التخييلات ، دون أن تكون لديه أية فكرة عن أن الجميع عداه يحكون لانفسهم قصصا من نفس النوع. احلام اليقظة استمرار للعب، والدوافع التي تكمن وراء

---

* كتب فرويد هذا البحث عام ١٩٠٨ — وهو الفصل التاسع من المجلد الرابع من مجموعة كتابات فرويد — طبعة عام ١٩٥٩ . المترجم.

هذين النوعين من النشاط تتضمن سببا معقولا لاختلاف السلوك عند الطفل في اللعب عنه عند البالغ في أحلام اليقظة .

يتحدد لعب الاطفال برغباتهم ـ أو بالفعل يتحدد برغبة الطفل **الوحيدة** ـ في أن يكبر ، تلك الرغبة التي تساعده على أن « يكبر » . انه يلعب دائما دوره كبالغ، فهو في اللعب يقلد ما يعرفه عن حياة البالغين . واذن فلم يعد لديه سبب لاخفاء هذه الرغبة . أما بالنسبة للبالغ فالأمر على العكس ، فهو يعرف ـ من ناحية ـ أن المتوقع منه ألا يعود للعب أو لاحلام اليقظة ، وانما المتوقع منه أن يتخذ طريقه في العالم الواقعي . ومن ناحية اخرى تكون بعض الرغبات التي تنبثق منها تخييلاته مما ينبغي اخفاؤه تماما، ومن ثم فانه يكون خجلا من تخييلاته بحسبان كونها تخييلات طفلية وكونها شيئا ممنوعا .

فاذا اخفيت هذه الرغبات بدرجة كبيرة من السرية فسوف تسأل : كيف نعرف كل هذا عن الميل البشري الى خلق التخييلات ؟ هناك فئة معينة من الكائنات البشرية حملتهم ضرورة عليا ـ ليست هي الها حقا ، ولكنها ربة كئيبة ـ مهمة اعطاء بيان عما يعانون من عذاب أو يذوقون من متعة . هؤلاء الناس هم العصابيون ، ومن بين الامور الاخرى أن عليهم الاعتراف بتخييلاتهم للاطباء الذين يذهبون اليهم على أمل الشفاء عن طريق العلاج العقلي . هذا هو أفضل مصادر معرفتنا ، وقد وجدنا أخيرا سببا معقولا لافتراض أن مرضانا لا ينبئوننا عن أنفسهم شيئا لا نستطيع أيضا أن نسمعه من الاصحاء من الناس .

دعنا نحاول أن نتعلم بعض خصائص أحلام اليقظة . ويمكننا أن نبدأ بالقول بأن السعداء من الناس لا يكتفون خيالات ، خيالات غير مشبعة فحسب . فالخيالات غير المشبعة هي القوى الدافعة وراء التخييلات ، وكل تخييل منفصل يتضمن تحقيق رغبة ، ويحسن واقعا غير مشبع . وتختلف الرغبات الدافعة تبعا لجنس المبدع وشخصيته وظروفه . ومع ذلك قد يكون من السهل تقسيم هذه الرغبات الى مجموعتين أساسيتين . فاما أن تكون رغبات طموحة تفيد في تمجيد الشخص الذي يخلقها ، أو أن تكون رغبات شبقية ، وتسود الرغبات الشبقية عند صغار النساء تخييلاتهن سيادة تامة ، لان طموحهن يكون مقتصرا ـ عموما ـ على استياقهن الشبقي . أما عند صغار الرجال فان الرغبات الذاتية والرغبات الطموحة تؤكد ذاتها بوضوح كاف ، جنبا الى جنب مع رغباتهم الشبقية . لكننا لن نركز على التفرقة بين هذين الاتجاهين ، فنحن نفضل أن نؤكد الحقيقة القائلة بانهما يكونان متحدين غالبا . ففي كثير من لوحات الهياكل الكنسيه توجد صورة مانح الهبه في ركن من أركان اللوحة ، وفي أكبر عدد من احلام اليقظة الطموحه أيضا نستطيع أن نكتشف امرأة في ركن ما ، امرأة من اجلها ينجز الحالم جميع افعاله البطوليه ، ويضع تحت قدميها جميع انتصاراته . وهنا ترى ان لدينا دوافع قوية كافيه لعمليه الاخفاء . فالمرأة الكاملة النضج لا تكون ـ حقا ـ مدينة الا بحد ادنى من الرغبة الشبقية ، بينما على الشاب أن يتعلم كبح اعتباره لذاته الذي يكتسبه من الجو الرقيق المحيط بطفولته ، حتى يمكنه ان يجد مكانه الصحيح في مجتمع مليء بأشخاص اخرين لهم مطالب مماثلة .

وينبغي ألا نتخيل ان النتاجات المتباينة لهذا الحافز الى التخييل ، او بناء قلاع في الهواء ، أو الى أحلام اليقظه هي نتاجات منسوخة أو لا تقبل التغيير . بل هي على النقيض توائم ذاتها مع تأثيرات الحياة المتغيرة ، وتتغير مع تقلبات الحياه ، ويعطيها كل تأثير عميق جديد ما يمكن ان نسميه « خاتما مؤرخا » . وعلاقة التخييلات بالزمن علاقه ذات أهمية كبيرة . ويمكن للمرء أن يقول أن التخييل في لحظة ما ، وفي نفس تلك اللحظة ، يتردد بين فترات زمنيه ثلاث ـ هي الفترات الثلاث لتكوين الافكار . ويرتبط نشاط التخييل في الذهن ببعض الانطباعات الجارية ، التي تنشأ عن حدث ما في الحاضر له القدرة على اثارة رغبة عارمة . ومن هناك ترتد الى ذكرى خبرة مبكرة ـ تتصل غالبا بالطفولة ـ كانت قد تحققت فيها هذه الرغبة . ثم تخلق لنفسها موقفا من المفروض أن يظهر في المستقبل ، متمثلا تحقيق الرغبة ـ وهذا هو حلم اليقظه أو التخييل ، الذي يحمل عندئذ في آثاره كلا من المناسبة التي احدثته وبعض ذكريات الماضي . وهكذا يتصل الماضي والحاضر والمستقبل على خيط الرغبة التي تسرى فيهم جميعا .

ويمكن أن يفيد في مثال عادي جدا في ايضاح قضيتي . فلنأخذ حالة صبي يتيم صغير ، اعطيته عنوان صاحب عمل قد يحصل عنده على وظيفة . في طريقه الى هناك يتملكه حلم يقظة مناسب للموقف الذي ينبثق عنه . سيكون محتوى الحلم قريبا من الاتي : يعين ويرضى صاحب العمل الجديد، ويدخل في أسرة صاحب العمل ، ويتزوج الابنة الجميلة للاسرة . ثم يصل الى رئاسة العمل اولا كشريك ، ثم كخلف لحميه . وبهذه الطريقة يستعيد الحالم ما كان يتمتع به في طفولته السعيدة : البيت الذي يحميه ، والديه الحبيبين وأول موضوعات حبه . سترى من هذا المثال كيف تستغل الرغبة حدثا ما وقع في الماضي وترسم مستقبلا على نمط هذا الماضي .

أكثر من هذا يمكن أن يقال عن التخييلات ، لكنني سألمح فحسب ، بأشد ايجاز ممكن الى نقاط معينة . ان التخييلات اذا ما أصبحت مفرطة الكثرة ومفرطة القوة تكونت الشروط الضرورية لظهور العصاب أو الذهان ، * والتخييلات هي أيضا المرحلة الاولى المبدئية في الذهن لاعراض المرض الذي يشكو منه مرضانا . ويتفرع هنا طريق جانبي عريض في علم الامراض .

ولست أستطيع أن أمر عابرا على علاقة التخييلات

---

* الذهان هو المرض العقلي Psychosis في تقابل العصاب Neursis أي المرض النفسي ، ويتميز الذهان عن الصعاب بعدم القدرة على التوافق وحفظ الاتزان النفسي . وقد ينشأ الذهان عن أسباب عضوية بحت . وقد تؤدي اليه أسباب وظيفية عقلية . « المترجم ».

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

بالاحلام . فليست احلامنا الليليةالا تخييلات مماثلة ، وهذا ما نستطيع ايضاحه بتفسير الاحلام الليلية (١) . ولقد قررت اللغة منذ زمن بعيد ـ بحكمتها التي لا ينافسها منافس ـ مسألة الطبيعة الجوهرية للاحلام وذلك باطلاقها اسم « أحلام اليقظة » على تلك الاختلاقات الهوائيةللتخييل . فاذا ظل معنى أحلامنا عادة غامضا رغم هذه الرابطة فهذا يرجع الى أن الرغبات التي نكون خجلين منها تصبح في الليل نشطة داخلنا ، وهي تلك الرغبات التي لا بد لنا أن نخفيها عن أنفسنا ، والتي كبتت بناء على ذلك ، ودفعت الى اللاشعور . هذه الرغبات المكبوتة ومشتقاتها لا يمكن من ثم أن تجد لها تعبيرا الا حينما تتستر تسترا تاما . والمجهود العلمي ـ حينما نجح في أن يشرح ما في الاحلام من تحريف ـ لم يجعل من العسير علينا أن ندرك أن الاحلام الليلية تحقيق لرغبات ، شأنها شأن احلام اليقظة ـ أي تلك التخييلات التي نحن معتادون عليها جميعا .

قلنا كلاما كثيرا عن أحلام اليقظة ، فلنتكلم الان عن الشاعر : اترانا سنجرؤ على أن نقارن الكاتب الخيالي بمن « يحلم في عز النهار » ، وأن نقارن أعماله الابداعية باحلام اليقظة ؟ هنا تفرض علينا تفرقة أولى ، فعلينا أن نميز بين الشعراء الذين يأخذون موضوعاتهم جاهزة ، مثل مبدعي الملاحم والتراجيديات الاقدمين ، وأولئك الذين يبدون أنهم يبدعون موضوعاتهم تلقائيا . ولنقصر كلامنا على الاخرين ، ودعنا ايضا لانختار لعملية المقارنة التي سنقوم بها اولئك الكتاب الذين يتمتعون بتقدير عظيم من النقاد . سنختار اقل كتاب الروايات والقصص تظاهرا ، والذين يقرأ لهم الرجال والنساء على اوسع نطاق . وهناك خاصية مميزة ملحوظة في نتاج هؤلاء الكتاب لا بد انها تخطر لنا جميعا : ان كلا منهم له بطل هو مركز اهتمامه ، يحاول المؤلف ان يكسب له عواطفنا بكل الوسائل الممكنة ويضعه تحت عناية خاصة . فاذا ترك البطل في خاتمة احد الفصول فاقد الوعي ينزف الدم من جرح قاس ، فانا على يقين انني سأجده في بداية الفصل التالي يلقى عناية فائقة وفي طريقه الى الشفاء . فاذا كان المجلد الاول ينتهي والبطل غارقة سفينته في عاصفة في البحر ، فانا واثق انني ساسمع في بداية المجلد التالي عن نجاته العجيبة ـ ماذا والا لا يمكن ان تستمر القصة . ان الاحساس الاول الذي اتتبع به البطل خلال مغامراته الخطرة هو نفسه الاحساس الذي به يلقى بطل حقيقي بنفسه في الماء لينقذ انسانا يغرق ، او يعرض نفسه لنيران العدو اثناء قصف عاصف من المدفعية . هذا هو نفس الاحساس بالبطولة التي عبر عنه واحد من افضل الكتاب الالمان تعبيرا رائعا في عبارته الشهيرة « لا شيء يمكن ان يحدث لي »(٢) . ومع ذلك يبدو لي ان هذه العلامة الهامة على عدم القابلية للنفاذ تفضح ـ بوضوح شديد ـ صاحب الجلالة الأنا ، بطل جميع احلام اليقظة وجميع الروايات .

ونحن نلمح نفس العلامة في سمات مميزة اخرى لهذه القصص التي تتمركز حول الانا . فحينما تقع كل النساء ـ بصورة ثابتة ـ في حب البطل ، يكون من العسير علينا اعتبار هذا وصفا للواقع ، بل يكون فهمه على انه قوام جوهري لاحد احلام اليقظة . ويصدق نفس الشيء حينما يقسم الاشخاص الاخرون في القصة بين اخيار واشرار . مع اغفال تام للتنوع المزدوج في سمات الكائنات البشرية الحقيقية ، فالاخيار هم اولئك الذين يساعدون الانا في شخصية البطل ، بينما الاشرار هم اعداؤه ومنافسوه .

اننا لا نفشل باي حال في ادراك ان الكثير من الانتاج التخيلي قد تجاوز بعيدا عن احلام اليقظة الاصلية الساذجة ، لكن لا استطيع ان اكبح ما لدي من تخمين بانه حتى اكثر الاختلافات حدة يمكن ان تدخل في علاقة مع هذا النموذج بواسطة سلسلة متصلة من التحويلات . لقد راعني في كثير مما يسمى بالروايات السيكلوجية ان شخصا واحدا فحسب ـ هو البطل هذه المرة ايضا ـ يوصف من الداخل ، فالمؤلف يتمعن في نفسيته وينظر الى الاخرين من الخارج . وربما تدين الرواية السيكلوجية عموما بخصائصها الى اتجاه الكتاب المحدثين لان يشمخوا بالانا عندهم عن طريق الملاحظة الذاتية لانواع كثيرة من الانا . ولان يشخصوا الاتجاهات الصراعية في حياتهم العقلية الخاصة في كثير من الابطال . وهناك روايات يبدو انها تقف موقف التعارض مع احلام اليقظة الفعلية . في هذه الروايات يلعب الشخص الذي يقدم على انه البطل اقل الادوار ايجابية بالنسبة لاي شخص . بل يبدو انه يشرك افعال الناس الاخرين ومحنهم تمر به كأنه متفرج . وكثير من روايات زولا الاخيرة ينتمي الى هذه الفئة من الروايات . لكن لا بد لي ان اقول ان التحليل النفسي الناس الذين ليسوا كتابا ، والذين ينحرفون في اشياء كثيرة عما يسمى بالقاعدة العامة ، قد بين لنا اختلافات مماثلة في احلام يقظتهم التي يستمد الانا منها السرور بقيامه بدور المتفرج .

فاذا كان لمقارنتنا الكاتب الخيالي بمن تراوده احلام اليقظة ، والنتاج الشعري باحلام اليقظة . ان تكون ذات قيمة ما ، فينبغي أن تبدو مثمرة بطريقة او باخرى . فلنحاول مثلا ـ ان نفحص اعمال الكتاب بالرجوع الى الفكرة التي عرضناها فيما سبق ، اي علاقة التخييل بالرغبة التي تتخلله وبفترات الزمان الثلاث . ولندرس ـ بمساعدة هذا الفحص ـ الصلة بين حياة الكاتب واعماله . لم يكن من المعروف في الماضي ما هي الافكار التي تشكل عناصر تناول هذه المشكلة ، كانت هذه العلاقة تعتبر ـ في الاغلب ـ ابسط كثيرا مما هي بالفعل ، لكن الاستبصار الذي نحصله من التخييلات يؤدي بنا الى توقع ان تكون الامور على الحال الاتي . ان تجربة فعلية تركت في الكاتب انطباعا قويا قد ايقظت ذكرى تجربة اسبق منها ، ترجع الى الطفولة بوجه عام ، وتثير هذه عندئذ رغبة تجد تحقيقا لها في العمل موضع البحث ، والذي لا بد ان تكون عناصر الحدث الجديد والذكرى القديمة محسوسة فيه .

لا تحنق ازاء التعقيد الموجود في هذه القاعدة ، فانا نفسي اتوقع انها ستثبت ـ في الواقع ـ بنفسها انها قاعدة مخططة ، ولكنها قد تتضمن اول وسيلة لتناول واقع الامر الحقيقي . وانا اعتقد ـ من بعض المحاولات التي قمت بها ـ ان هذه الطريقة في تناول اعمال الخيال قد لا تكون عديمة الجدوى . وسوف لا ننسى ان التركيز على ذكريات الكاتب عند طفولته ـ التي قد تبدو غريبة للغاية ـ ناشيء كلية عن افتراض ان الابداع الخيالي ـ شأنه شأن احلام اليقظة ـ استمرار وبديل للعب الطفولة .

ولن نهمل الاشارة ايضا الى تلك الفترة من الاعمال الخيالية التي لا ينبغي ادراكها كنتاج تلقائي ، بل كمادة

---

(١) انظر فرويد : « تفسير الاحلام » .

(٢) العبارة للكاتب الالماني آنز نجروبر ـ لودفيج آنز نجروبر (١٨٣٩ ـ ١٨٨٩) روائي ومسرحي عاش في مدينة فيينا . « المترجم ».

جاهزة اعيدت صياغتها . فهنا ـ ايضا ـ يحتفظ الكاتب بقدر معين من الاستقلال ، فهو يستطيع ان يعبر عن نفسه في اختيار المادة ، وفي التغييرات التي تطرأ على المادة المختارة ، وهي غالبا ما تكون تغييرات لها اعتبارها ـ وهذه المادة غالبا ما تكون ـ مهما بعد المدى الذى تبلغه ـ مشتقة من بيت كنوز الخرافات والاساطير والحكايات الخرافية القديمة . ودراسة مبدعات سيكلوجيا الاجناس هذه ليست كاملة باي حال ، لكن يبدو من المحتمل الى اقصى حد ان الاساطير ، مثلا ، بقايا محرفة لتخييلات رغبات امم باسرها ـ هما احلام صبا الانسانية المديدة العمر .

ستقول انني ـ رغم ان الكتاب جاءوا اولا في عنوان هذا المقال ـ اخبرتك عنهم اقل مما اخبرتك عن التخييل . وانا اعرف ذلك، وسأحاول ان اتخيل لنفسي عذرا بالاشارة الى الحالة الراهنة لمعرفتنا ، ولا استطيع الا ان القي بعيدا بالاقتراحات ، وان اثير نقاطا معينة تنشأ عن دراسة التخييلات ، وتمضي وراء هذه التخييلات الى مشكلة اختيار المادة الادبية . ونحن لم نلمس المشكلة الاخرى على الاطلاق ، واعني مشكلة ما هي الوسائل التي يستخدمها الكتاب ليحدثوا فينا ردود الافعال الانفعالية هذه ، التي تثيرها اعمالهم ، لكن قد ابين لك على الاقل الطريق الذى يؤدي من مناقشة احلام اليقظة الى مشكلات الاثر الذي تحدثه فينا الاعمال الخيالية .

لعلك تذكر اننا قلنا ان الشخص الذي تراوده احلام اليقظة يخفي تخييلاته تماما عن الناس الاخرين لان لديه سببا يجعله يخجل منها . ويمكنني ان اضيف الان انه حتى لو كان لا بد له ان يوصلها الينا ، فانه لن يعطينا اى شعور باللذة بما سيكشفه لنا . فحينما نسمع مثل هذه التخييلات تنفرنا ، او هي على الاقل تتركنا في جمود . لكن حين يقدم انسان ذو موهبة ادبية مسرحياته ، او حينما يربط ما نعتبره احلام يقظة الخاصة ، فاننا نتمتع بلذة كبيرة ربما تكون نابعة من مصادر كثيرة . اما كيف ينجز الكاتب هذا ، فذلك هو سره الداخلي ، ويكمن فن الشعر الجوهرى في الوسيلة التي بها يقهر احساسنا بالاشمئزاز ، ولا بد ان يتم هذا بالتأكيد بالنسبة للحواجز التي تقوم بين كل كائن فردي وجميع الكائنات الاخرى . ويمكننا ان نحرس منهجين يستخدم كل منهما في هذه الوسيلة . ان الكاتب يخفف من الطابع الاناني للحلم بما يحدثه فيه من تغيير واخفاء ، وهو يرشونا بما يقدمه لنا من لذة شكلية بحتة ، اعني جمالية ، في تمثل تخييلاته ، واللذة الزائدة التي تقدم لنا حتى نحقق كذلك لذة اكبر نافعة ، من مصادر اعمق في الذهن ، تسمى « مكافأة حافزة » ، او بتعبير فني « لذة سابقة » . وانا مع الرأي القائل بان كل انواع اللذة الجمالية التي نحصلها من اعمال الكتاب الخياليين هي من نفس نوع هذه اللذة السابقة ، وبان المتعة الحقيقية من الادب تنشأ عن حل التوترات التي تعانيها اذهاننا ، وربما تكون من العوامل الكثيرة التي تؤدي الى هذه النتيجة حيث يضعنا الكاتب في وضع نستطيع فيه ان نتمتع باحلام يقظتنا دونما لوم او خجل. وهنا نصل الى طريق يؤدي الى الرواية ، والى الابحاث الهامة المعقدة ، ولكننا ـ ايضا ـ نصل على الاقل في الوقت الحاضر ، الى نهاية هذه المناقشة .

القاهرة — ترجمة سمير كرم

المرفأ المقفر

يا مرفأ في المطر
افتح لنا ، ابوابك المغلقه
افتح لنا في المطر
دربا الى جزر بلا عنوان
اسوارها نسيان
جزر لها اشجان
يرسو لديها القمر
ما مر فيها البشر

★

عاد السنونو متعبا .. متعبا
طوف في ارض بلا حدود
الناس فيها ياكلون الورود
ويشربون المطر
ويرتدون الشجر

★

وانت يا قلبي
ما زرت يوما كوكبا مهجور
ولم تذق طعم الندى والزهور
وما رأيت الارض كالنجمه
تدور في القمه
وما رأيت القمر المكسور
ملقى ، على شواطيء الظلمه

★

يا سفنا مثقلة بالعاج
يا سفنا ترحل
مري على مرفأ
قنديله مطفأ
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ملقى على الرمل ، وريش النسور
وذابلات الزهور
يحلم في ارض بلا حدود
دفء الشموس الخضر ، من دفئها
الحزن فيها ، والهوى الاول
وشهقة العطر ، وهمس الورود
يا سفنا ترحل
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ينتظر المد الذي لا يعود

موسكو — حسب الشيخ جعفر